عندي ذُكرتُ بذلك او لم اذكر " انتهى

وكل مَن قرأ شيئًا من كتاباتهِ او ممَّا اثرناهُ عنهُ في المقتطف يعلم انهُ نال ما سعى لهُ ولم يمت حتى رأى علماء الارض وعظماءها من ملكة الانكليز وابنها ولي العهد الى اصغر عامل في مناجم الفحم يقرُّ بفضلهِ ويعترف لهُ بانهُ افاد العالم ماديًّا وادبيًّا فوائد لا تقدَّر

وقد أُصيب بالنزلة الوافدة في شهر مارس الماضي وتبعها اضطراب في رئتيهِ وكليتهِ فتوفي يوم السبت في التاسع والعشرين من شهر يونيو الماضي وخلف زوجةً وثلاثة بنين واربع بنات . ودفن في الرابع من يوليو (تموز) وسار في جنازتهِ كل علماء الانكليز مثل كلفن وفوستر ولستر وسبنسر ولكير وروسكو وفرنكلند وغلادستون ونواب الجمعيَّات العلميَّة كلها وصلى عليهِ القس لولن دافس . وسيقام لهُ تذكار في دير وستمنستر وتمثال في متحف التاريخ الطبيعي مع دارون وأُوِن

تاليف الكتب ورواجها

من الناس من يأتيهِ الغنى من حيث لا يدري لا بتعب ولا بكدح ومنهم من تأتيهِ الشهرة عفوًا لا لجد ولا لاستحقاق لكن هذا وذاك من النوادر ألَّتي لا يُبنى عليها حكم والحكم الثابت المقرَّر هو ان الغنى والشهرة ينالان بالكد والجد . والنجاح ثمرة التعب ولا بدَّ دون الشهد من ابر النحل . لكن الجد والاجتهاد لا يغنيان شيئًا اذا لم يوضعا في موضعهما او اذا لم تكن احوال الزمان والمكان مناسبة لها

وقد اطَّلعنا الآن على سيرة كتاب ألَّفهُ شاب انكليزي اسمهُ « كد » فكان لهُ اعظم وقع في النفوس مع انهُ يبحث في كيف نشأت الهيئة الاجتماعيَّة وهو مبحث فلسفي قلما يهتمُّ الجمهور بمطالعتهِ . لكن العناية ألَّتي بذلها المؤلف في تأليفهِ والوسائط ألَّتي استخدمها لانتشاره واستعداد الشعب الانكليزي خصوصًا والشعوب الاوربيَّة عمومًا لمطالعة المباحث العلميَّة والفلسفيَّة روَّجتهُ كما تروج القصص والروايات واليك بيان ذلك

شرع المستر كد صاحب هذا الكتاب في تأليفهِ سنة ١٨٨٦ بعد ان استعدَّ لهُ سنين كثيرة فاتمَّهُ سنة ١٨٩١ ولا تسأل عمَّا عاناهُ من التعب والمشقة في جمع موادهِ وتبويبها وتنسيقها مدة خمس سنوات وكان في غضونها يجدُّ ويكدح في اكتساب المعيشة ولم يشرع من فورهِ في نشرهِ وارسالهِ في الافاق بل اقام خمس سنوات اخرى ينقحهُ ويهذبهُ

فنسخهُ كلهُ من اولهِ الى اخرهِ خمس مرات متواليات لكي يبلغ بهِ النهاية القصوى من اتساق العبارة وجلاء المعنى وصحة التعبير . وفي اواسط سنة ١٨٩٣ رأى انهُ قد اتمّ هذا الكتاب بعد ان اشتغل بهِ نحو عشرين سنة ولم يبقَ عليهِ الاّ ان يجد من يطبعهُ وينشرهُ لان المؤلفين في اوربا لا ينفقون على طبع كتبهم بل ينفق عليها اصحاب المطابع ويقاسمونهم الربح وكان يعرف كثيرين من اصحاب المطابع الذين رأوا كتاباتهِ في الجرائد وعرفوا منزلتهُ من العلم والانشاء فاختار اشدهم صداقةً لهُ واكثرهم اهتماماً بامرهِ واقدرهم على طبع الكتب وبعث اليهِ بنسخ كتابهِ وبات ينتظر حكمهُ فيهِ . ومضت الايام وهو على جمر الغضا واخيرًا رُدّت اليهِ النسخ ومعها رسالة هذه صورتها

" سيدي العزيز . اعطيت كتابك الى اثنين من الثقات الذين اعتمد على رأيهم في اختيار الكتب التي اطبعها فاشارا كلاهما بان الكتاب مرغوب فيهِ عند فئة صغيرة من الناس لا غير وهما في ريب من نجاحهِ اي من انهُ يباع منهُ ما يفي بنفقات طبعهِ ولذلك فيسؤُني ان اخبرك بانني لا استطيع ان اطبعهُ على نفقتي وقد رددت نسختهُ اليك مع البريد "

فشعر كما يشعر كل مؤلف اذا رأى ان اتعاب سنين كثيرة ذهبت سدًى وان شجرة غرسها وسقاها بدم مهجتهِ عامًا بعد عام لم تجنِ ثمرًا . لكنهُ لم ييأس بل طرق بابًا آخر وهو بيت الخواجات مكملن المشهورين بطبع الكتب العلميّة وبعث اليهم بكتابهِ فقبلوا ان يطبعوهُ لهُ على شرط ان يعطوهُ نصف الربح من الالف والخمس مئة نسخة التي تباع منهُ اولاً وثلثي الربح تمّا يباع بعد ذلك . فطُبع الكتاب في اوائل سنة ١٨٩٤ . وبيت مكملن من اشهر البيوت في طبع الكتب العلميّة وعندهم جرائد تذيع امرها وكتّاب مشهورون ينتقدونها انتقادًا يظهر منافعها ومزاياها على اسلوب يرغّب الناس في مطالعتها فلم يبخلوا بواسطة من هذه الوسائط لنشر مزايا هذا الكتاب . فاقبل القراء عليهِ من كل فج في انكلترا واميركا ولم يمضِ عليهِ خمسة عشر شهرًا حتى بيع منهُ نحو خمسين الف نسخة بيعت النسخة منها بنصف جنيه فبلغ ربح المؤلف منها نحو ١٦ الف جنيه وهذا الانتشار والنجاح لا مثيل لهما في الكتب العلميّة بل فلما تدانيها فيهما كتب القصص والروايات التي يكتبها اشهر الكتّاب

وقد ترجم هذا الكتاب الآن الى اللغة الالمانيّة والفرنسويّة والدنمركيّة ولو كان العلم منتشرًا عندنا عشر معشار ما هو منتشر في بلاد الدنمرك مثلاً لترجمناهُ الى العربيّة ايضًا لكننا نخشى ان نترجمهُ فلا نستوفي نفقات طبعهِ

نقار الخشب

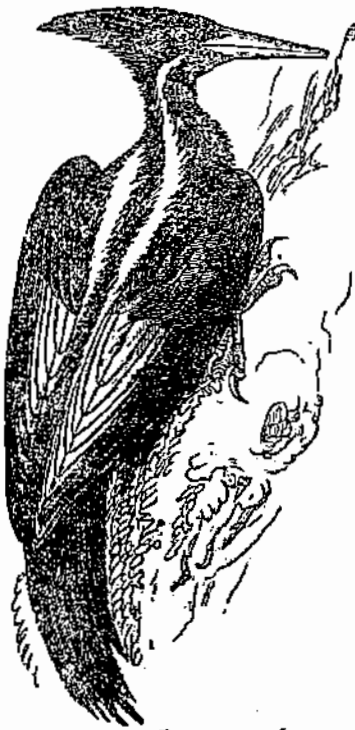

نقار الخشب طائر معروف لهُ انواع مختلفة منها الاسود والاشهب والاخضر والاحمر والرمادي . وهو كثير في اسيا واوربا وافريقية واميركا ولكنهُ لا يوجد في استراليا ولا في جزائر البحر . وانواعهُ مختلفة لوناً وشكلاً ولكنها متفقة في انها كلها تتسلق الاشجار وتنقرها بمناقيرها وتتغذى بما فيها من الديدان والحشرات . وريش اذنابها قصير متين تلصقهُ بساق الشجرة فيكون لها دعامة تعتمد عليها كما ترى في هذه الصورة

ومنقار نقّار الخشب طويل متين سفيني الشكل ينقر بهِ اصلب الاخشاب بعد ان ينزع لحاءها عنها ولسانهُ طويل لهُ رأس دقيق وجوانب نبليَّة يسيل عليهِ لعاب لزج فاذا نقر ساقاً او غصناً ووصل الى دودة فيهِ مدَّ لسانهُ اليها تلتصق بهِ بما عليهِ من اللعاب الغروي فيلتقمها بأسرع من لمح البصر . ويقال انهُ لا ينقر الاَّ الاشجار الَّتي فيها دود او حشرات اخرى لان غرضهُ المعيشة لا غير ويستدلُّ على الديدان والحشرات بأصواتها حتى لقد ينقر عمد التلغراف ظانًّا طنين اصلاكها طنين حشرات فيها . لكن قد ثبت الآن انهُ ينقر ايضاً اشجاراً سليمة لا حشرات فيها ولعلهُ يجدح بمنظرها او يضلهُ قياس التمثيل الذي لا يُحمَد عليهِ دائمًا

ومهما يكن غرضهُ من نقر الاشجار فلا شك في انهُ يفيدها كثيرًا بتنقيتها من الحشرات . وذنبهُ يفعل بالحشرات الظاهرة فعل منقارهِ ولسانهِ بالحشرات الباطنة فانهُ لصلابتهِ وجسوّ ريشهِ يقتل بهِ الحشرات الَّتي على ظاهر الجذع والاغصان حينما يتسلقها . ولعلهُ هو المقصود بقول ابي العلاء المعري حيث قال

عجبتُ لطيرٍ بلطفِ المليكِ مخلوقة لصلاح الثمرْ
تثقبهُ مولعات بهِ ولو لم تزرهُ تهاوى فمر